الشيـخ الرحالي الفاروق محدثـا

للأستاذ : السعيد بوركبة
أستاذ بدار الحديث الحسنية

مقدمة في مولده ونشأته.

مراحل دراسته :

1 – دراسته الأولية.

2 – دراسته بجامعة ابن يوسف بمراكش.

3 – دراسته بجامعة القرويين بفاس.

شخصيته كمحدث :

1 – سنده في الحديث وإجازته من الغير وللغير.

2 – عطاؤه الحديثي في مراكش.

3 – عطاؤه الحديثي في مجالس الحضرة المولوية بالرباط.

4 – عطاؤه الحديثي في دار الحديث الحسنية بالرباط.

5 – نص الكلمة التي تدخل بها في المعرض الثاني لأطروحات ورسائل خريجي دار الحديث الحسنية المقام بمراكش 1403هـ/ 1982م.

المقدمة :

إنه قبل الأخذ في الحديث عن الشيخ المرحوم الرحالي الفاروق كمحدث، يجدر بي أن أعطي نظرة وجيزة مركزة عن نشأته، ومراحل دراسته.

أولاً مولده ونشأته :

ولد شيخنا الرحالي الفاروق بمسقط رأسه قريب قلعة السراغنة في أواخر عام 1320 كما قاله الدكتور يوسف الكتاني في كتابه: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، نقلا عن الترجمة الذاتية لمترجمنا(1) خلافا لما نص عليه الأستاذ عبد الرحمن القباج في جريدة الميثاق لرابطة علماء المغرب عدد : 581 السنة 25 من أن ولادته كانت سنة 1327 (أي حوالي سنة 1901م).(2)

وانه بغض النظر عن هذا الاختلاف في تاريخ ولادته، فإنه قد انحدر من أسرة أصيلة اشتهرت بمصاحبة أهل الفضل والمعرفة، وبحب الخير والسعي في المصلحة العامة.

وتلقب أسرته : بـ **أولاد بن عبد الخالق**، وعبد الخالق هو اسم جده الثالث.

وقد تعرض الأستاذ محمد بوسلامتي في بحثه التمهيدي المقدم إلى دار الحديث الحسنية صحيفة 7 إلى أن أصل نسبه يرجع إلى قبيلة أولاد حمو الموجودة بجماعة... أهل الغابة بمنطقة يطلق عليها اسم: «الحدراء» لوجودها في سهول منحدرة توجد على مسافة غير بعيدة جهة الشمال الغربي عن مدينة قلعة السراغنة، وهذا ما جعل الفقيه الرحالي يضيف في ترجمته التي كتبها بخط يده إلى نسبه كلمتي : «الحمومي السرغيني».

ومن الملاحظ في اسمه الشخصي «الرحالي» انه جاء على صورة النسب، وأن السبب في ذلك يرجع إلى أن رجلا من أولاد سيدي رحال الكوش المشهور ضريحه بإقليم قلعة السراغنة، انتزح عن قومه وآوى إلى عشيرة المترجم له، وعُدَّ من أحلافهم، فغلب عليه الرحالي، فلما ولد مترجمنا، أبى والده إلا أن يسميه الرحالي، لما لمحه في المسمى به من المروءة والنباهة، والفضل والقناعة.

---

1) انظر صفحة 262 من الجزء الأول من كتابه طبع استانسيل.

2) انظر الهامش رقم 4 في بحث الأستاذ محمد بوسلامتي بعنوان الشيخ الرحالي الفاروق محدثا ص : 7 طبع استانسيل.

مراحل دراسته :

1 – دراسته الأولية :

رغم أن والد المترجم كان أميا، فإنه استطاع أن ينشئه تنشئة حسنة ويهتم بتعليمه، فحفظ القرآن الكريم برواية ورش وحمزة، وجملة من المتون الأساسية في اللغة العربية بمسقط رأسه في البادية، وكان ذلك على يد الشيخ أحمد بن المختار الرحالي، مثلما أخذ عنه بقية القراءات السبع تباعا، ورواها عنه قراءة وسماعا فلما أتقنها، احتفل لذلك والده أيما احتفال، وعندئذ أشار عليه شيخه المذكور بأن يوجهه لاستكمال العلم والتفقه في الدين.

فاستدعى له والده بعض العلماء من مراكش، منهم العلامة محمد أجسيم السوسي فلازمه مدة ثلاثة أعوام، حيث حفظ فيها كثيرا من المتون ودرس عليه عدة فنون، فكانت هذه هي أولى مراحل دراسته(3)

2 – دراسته بجامعة ابن يوسف بمراكش :

ولما تفقه في مختلف العلوم والفنون على يد شيخه محمد أجسيم السوسي تاقت نفسه للمزيد من المعرفة والتمكن في مختلف أنواع الثقافة العربية والإسلامية، فأخذ الرحلة إلى مدينة مراكش، حيث الجامعة اليوسفية هناك تزخر بالعلم والعلماء على اختلاف طبقاتهم وتخصصاتهم، فلازم جماعة من علمائها وكانوا قمما في المعرفة، وفي طليعتهم :

– الشيخ أبو شعيب الشاوي المعروف بابن الرامي الذي نهل كثيرا من معين ينابيعه الفياضة بالعطاء.

ومحمد بن عمر المسفيوي، والحاج عبد السلام بن المعطي السرغيني، ومحمد بن أبي بكر السرغيني، ومحمد بن التاودي السرغيني، والحاج العربي الرحماني البربوشي، حيث أخذ عن هذا الأخير مختصر خليل بالخرشي، ثم أبو شعيب الدكالي، رائد السلفية بالمغرب، حيث أخذ عنه الحديث.

---

3) انظر كتاب مدرسة الإمام البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني ج 1 ص 262 ـ 263 طبع استانسيل.

وقد قضى في رحاب جامعة ابن يوسف 7 أعوام، تلقى فيها كثيرا من المحصول المعرفي، ولا سيما منه ما يتعلق بالحديث وعلومه والتفسير والفقه وأصوله.

وحينئذ تكونت للرجل ملكته العلمية، فاستحق بذلك أن يسلك في عقد العلماء.

3 – دراسته بجامعة القرويين بفاس :

وبما أن طالبين لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا، كما ورد في الحديث النبوي، فإن شيخنا أبى إلا أن يشد الرحال إلى فاس حيث جامعة القرويين العتيدة تكتظ بأنواع المعارف والعلماء هي الأخرى فأقبل على حلقات دروسها، فارتوى من معينها، وكان على رأس شيوخها الذين أخذ عنهم: شيخ الجماعة سيدي أحمد بن الجيلالي، والحافظ سيدي عبد الرحمان بن القرشي والمحقق الراضي بن سنان، وسيدي الحسين العراقي والعلامة محمد بن الحاج السلمي، فأكثر التردد على هذا الأخير ولازمه حيث أخذ عنه مختصر خليل في الفقه المالكي بجل شروحه، وموطأ مالك بجامع الشرفاء.

وما أن اكتملت درايته، واتسعت في أفق العلوم مداركه، حتى نازعته نفسه إلى الرجوع إلى مسقط رأسه، ليقوم بحقه عليه في إثرائه بالعلم والمعرفة وأداء رسالته في الدعوة الإسلامية هناك.

وعليه فإذا كان قد تلقى من أساطينها واستفاد، فإنه حان الوقت لتلقينها للأجيال الصاعدة العطشى ليفيد، حتى يكون للثقافة الإسلامية ضياء وهاجا، وفي سمائها علمًا مرفرفا خفاقا. فعلم فيها وأرشد طوال 3 أعوام، ثم صمم العزم على الارتحال إلى مراكش، معقل الجامعة اليوسفية، بغية التدريس فيها، وأداء لحقها عليه أيضا.

وبعد تعرفنا على جانب من دراسته، ينبغي لنا أن نتعرف أيضا على شخصيته كمحدث، **سواء من حيث سنده**، أو من حيث عطاؤه **الحديثي في مراكش**، أو في الرباط **بمجالس الحضرة المولوية**، أو **بدار الحديث الحسنية.**

1 - سنده في الحديث وإجازته من الغير وللغير :

من البديهي، إن العلماء في نطاق الحديث الشريف يعنون بأخذ العلم عن مشايخ وقتهم الكبار، ويحرصون كل الحرص على أخذهم إجازات في علوم شتى، وقد يحرص بعضهم على أن يأخذ إجازة واحدة في تخصص واحد، إما في الحديث وإما في التفسير، وإما في الفقه، وإما في أصول الفقه.

أ ـ إجازة الرحالي الفاروق من الغير :

من الثابت، أن شيخنا الفاروق، أخذ إجازة في الحديث عن شيخ المحدثين قاطبة ألا وهو الشيخ أبو شعيب الدكالي الصديقي (25 ذو القعدة 1295هـ / 30 اكتوبر 1878 ـ 7 جمادى الأولى 1356هـ / 16 يوليوز 1937).

وأن له سندا عاليا يصله بالإمام البخاري، وهو ما أشار إليه عند إجازته أحد طلبته، وهو الدكتور يوسف الكتاني، حيث قال له: «إني أهدي إليك سندا عاليا لصحيح البخاري، وهو عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي عن سليم البشري عن الشيخ منة الله عن الشيخ الأمير عن أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن الشيخ حسن العجمي عن أحمد بن عجل اليمني عن الشيخ إبراهيم بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن أبي عبد الرحمن محمد بن شاذ بخت الفرغاني عن يحيى بن عمار الختلاني عن الشيخ محمد بن يوسف الفربري عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ورضي عنه وأرضاه.. كتبه عبد الله تعالى الرحالي الفاروق عميد كلية الدراسات العربية مراكش.(4)

ب ـ إجازة الفاروق.الرحالي للغير :

لقد أعطى الشيخ الرحالي الفاروق إجازات لغيره من طلبته، وهم كثير، من بينهم : عبد ربه كاتب هذا البحث، هو وجماعة من الأساتيذ خريجي

4) انظر البحث التمهيدي بعنوان الشيخ الرحالي الفاروق محدثا، للأستاذ محمد بوسلامتي، ص 37و 38 نقلا عن الدكتور يوسف الكتاني في كتابه السابق، ج 1 ص 200طباعة لبنان.

دار الحديث الحسنية عندما توجهوا إلى مراكش بمناسبة عيد العرش لسنة 1984، استجابة للدعوة الموجهة إليهم من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

وقد اغتنم بعض أفراد المكتب التنفيذي لجمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية فرصة وجودهم بمراكش آنذاك فزاروا الشيخ الرحالي في مكتبه بكلية الدراسات العربية، وتبادلوا معه أطرافا من الحديث في قضايا علمية، فالتمسوا منه إجازتهم، فأجازهم بحديث الرحمة ـ رحمه الله ـ

أما هؤلاء الذين أجازهم، فهم :

1 – السعيد بوركَبة.
2 – يوسف الكتاني.
3 – عبد السلام الإدغيري.
4 – نوري معمر.
5 – عبد القادر البرجي الغساني.
6 – أحمد بن إبراهيم المراكشي.
7 – محمد صالح.
8 – عبد العزيز العيادي.

وكان نص الإجازة موحدا للجميع، وهو كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، والصلاة والسلام على فاتحة الأشياء، وخاتمة الأنبياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعلى آله وصحابته الثقات البررة، وكل من حذا حذوهم، وقصد قصدهم إلى يوم الدين والجزاء.

أما بعد، فأمدني الله وإياك بنور معرفته، وألهمنا جميعا شكر نعمته والقيام بحق ربوبيته، وقد سألتني أيها الأخ المومن البار : أن أجيزك بما درست ورويت من معارف الملة الإسلامية والثقافة الإنسانية.

وإنه وإن كان من دأبي ألا أتقدم إلى مثل هذه الميادين التي لا يركض فيهـا إلا القليل من الـرجـال وهـم من شابـت ذوائبهم في حياة المعـرفـة والتجـربـة، وتنورت قلـوبهم بنـور الإيمان والحكمـة، وتفتقت ألسنتهم بسحر البيان والإبانة، وتوافرت فيهم أسباب الإسناد والاتصال، وتوثقت بهم معـاهد الهدى والعـرفـان. وإني وإن كنت دون ما سألت في الـوزن والقيمـة، وكـانت حيـاتي على أبسط بســاط متـواضـع، فقـد تحاملت في استجابـة رغبتك وتحاميت كل ما يمنع من قبـول طلبتك، حتى لا يخيب ظنك، ولا يضيع أملك، اعتمادا منـا على فضل المنان الـوهاب الـذي يلقح العقـول والألباب، ويهدي إلى الحق والصـواب، مع رجاء عـدم الإلحاح في السؤال والإغراق في المدح والثناء.

وبعـد أن ترددت وتشككت في إنجـاز الأمـر، غـالبت نفسي وعاتبتهـا، خشية أن يكـون ذلك من جفائهـا ولؤمهـا، ثم تحركت مشفقا على نفسي ومستعينـا بربي، فقلت: أجـزت الفقيـه الكريم والأديب السليم السيـد(5) بـالحديث المسلسل بالأوليـة الـذي رويته إجـازة عن شيخي أبي شعيب الدكالي قـال: حدثني الشيخ عبد الله القدومي النـابلسي، وهو أول حديث حـدثني به قـال : حـدثني الشيخ حسن بن عمـر الشطي قال: حـدثني العلامـة الأمير المالكي قال: حـدثني ابن سليمان الروداني المغـربي قال : حدثني الشيخ قدورة الجزائري قال : حدثني أبو عثمان سعيد المقري عن الشيخ أحمد حجي الوهـراني عن الشيخ إبراهيم التازي المدفون بـوهران عن أبي الفتح المراغي عن زيـن الـدين العـراقي عن الميــدومي عن عبـد اللطيف عن أبي الفرج بن الجوزي عن النيسابوري عن أبي صالح المؤذن عن محمـد الزيـادي عن أبي حامـد البزاز عن عبـد الرحمن العيـدي عن الإمام سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينـار عن أبي قابوس عن عبد الله بن العاص قال:

قال رسول الله ﷺ :

«الـراحمون يـرحمهم الـرحمان، ارحموا من في الأرض يـرحمكم من السماء».

---

5) وقـد بعث إلـيَّ الشيخ الرحـالي الفـاروق ككـاتب عام لجمعيـة العلماء خـريجي دار الحديث الحسنية آنذاك بعدة إجازات على عدد المجازين...

والـروايات أربـع، زيادة تبـارك وتعـالى، وحذفهـا، ورفع يـرحمكم، وجزمها.

قـال : وكل واحد من الشيـوخ يقول : وهـو أول حـديث حدثني بـه شيخي من القدومي إلى سفيان بإخراج الغاية.

حرر بمراكش عشية يوم الثلاثاء 29 شعبان 1402 من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام عبد ربه الرحالي الفاروق أمنه الله.

2 – عطاؤه الحديثي في مراكش :

مـا إن استقر الشيخ الـرحـالي الفاروق بمـدينـة مراكش، حتى أخـذ الطلاب يقبلون عليه من كل جهة يرشفون من معين علومه، ويستفيدون من رصيده المعرفي، فاحتل في قلوبهم مكانة مرموقة، إذ أحاطوه بهالة من التقـديـر والإكبـــار والاعتبـار، ممـا جعل مجلســـه يغص بـالحاضرين المتعطشين سواء منهم الطلبة، أو العوام.

وقد قـدر لي، وأنا مـا زلت صغيرا أحفظ القرآن في الكتـاب أن أحظى ببعض مجالســه الحديثيـة في شهــر رمضـان المعظم حيث كـان يشرح الحديث النبـوي من خلال صحيح البخـاري عقب صلاة الصبح بجـامع ابن يوسف، وكان ذلك دأبه في شهر الصيام من كل عام.

وإذا كان جامع ابن يوسف يحظـى بهذه الدروس، فإن جامع الكتبية بنفس المدينة حظي هو الآخر بعطاء الفاروق في إطار التفسير القرآني، وفي الحديث النبوي أيضا.

وقد بقي الشيخ يؤدي رســالته العلمية تطوعا واحتســابا على الله إلى سنة 1357هـ، حيث انتظـم التعليم بجامعة ابن يـوسف مثلما انتظم قبيل ذلك بجامعـة القرويين بفاس فـاستدعي بصفة رسميـة للتدريس بها في إطـار التنظيم التعليمي الجديد، وكـان ذلك بتزكيـة وترشيح من والـدي المرحوم الفقيـه العلامـة الحاج آمحمد بن عبـد السلام بـوركَبة (1900 – 1956م) بـاعتباره خليفـة رئيس الجامعـة اليـوسفية العـلامة محمـد بن عثمان المراكشي من جهـــة، وباعتـــباره مراقـــب الـــدروس بـــه من جهـــة أخرى.

وما كان من المسؤولين بها وقتذاك إلا أن تقبلوا تزكية الوالد - رحمه الله - كما تقبلوا في نفس الوقت تزكيته للعلامة المرحوم الشيخ حسن الزهراوي رحم الله الجميع، فقوبلا من طرف الجامعة بكل رعاية واعتبار (وقد تلقيت هذا الخبر مشافهة من والدي).

ومن يومئذ، وشيخنا الجليل الرحالي الفاروق يسطع نجمه في سماء المعرفة، حتى أضحى عالما جهبيذا وفقيها محدثا، ومفتيا مسددا.

ولم تكن تقتصر علومه على الفقه والحديث والتفسير والأصول فحسب وإنما كان له - بالإضافة إلى ذلك - إلمام كبير باللغة العربية وبفقهها حتى ليخيل إلى المرء أنه متخصص في فقه اللغة العربية وفي غيره من بقية الفنون الأخرى من بلاغة وأدب ومنطق وعلم الكلام وغيرها، فأصبح **الرجل بحر علم، وطود فهم، ومركز هداية وإرشاد، ومنار تألق، وإشعاع.**

وقد كان يتمتع بطاقة متميزة على ارتجال الكلام بأسلوب محكم أخاذ في فصاحة وطلاقة لسان، مع رباطة جأش واعتداد كامل بثقته بنفسه، مما يدل دلالة واضحة على ما كان له من إمكانات علمية ثرة، وثقافات جد واسعة أهلته لأن يأخذ بنواصي المعرفة والبيان.

تلكم كانت بعض جولاته الحديثية في مراكش، والآن نتحدث عن جولاته الحديثية في الرباط.

3 - عطاؤه الحديثي في مجالس الحضرة المولوية بالرباط.

لقد كان الرحالي الفاروق يشارك في المجالس التي تعقد برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله سواء منها المجالس التي تعقد بالرباط، وهذا هو الغالب، أو التي تعقد خارجه في طنجة ومكناس ومراكش وذلك في غير رمضان.

أما الأحاديث التي تناولها بالدرس والتحليل في شهر رمضان، فهي :

1 - حديث : سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله.(6)

6) انظر الدروس الحسنية لعام 1388هـ ص 197 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب مطبعة فضالة المحمدية.

وقد ألقاه بحضرة الجلالة الشريفة في 10 رمضان المعظم عام 1388هـ فاتح دجنبر 1968.. وذلك بضريح جده الحسن الأول نوَّر الله ضريحه.

2 – حديث هرقل وأبي سفيان في بداية الوحي.(7)

وقد ألقاه بحضرته في 10 رمضان عام 1395هـ وذلك بقصره العامر.

3 – حديث الدين النصيحة.

وقد ألقاه بحضرة أمير المؤمنين في مدينة مراكش.

ومما تجدر ملاحظته : أن الشيخ الرحالي الفاروق – زيادة على عطائه الحديثي – كان يلقي دروسا في التفسير لبعض الآيات القرآنية، من ذلك :

1 – شرح وتحليل الآية الكريمة : **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**.(8)

وقد تناول تحليل هذه الآية أمام الجلالة الشريفة في 10 رمضان 1387هـ/ 12 دجنبر 1967.

2 – شرح وتحليل الآية الكريمة : **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب.. المتقون﴾**.(9)

منهجية الشيخ الرحالي الفاروق في دراسة الحديث :

1 – كان يفتتح درسه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ.

2 – كان يتبع ذلك بالفقرتين التاليتين :

أ – «إن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

7) انظر الدروس الحسنية لعام 1395هـ ص 879 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ط 2 عام 82م مطبعة فضالة المحمدية.

8) انظر كذلك الدروس الحسنية ص 208 لعام 1387هـ نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب مطبعة فضالة المحمدية.

9) انظر الدروس الحسنية لعام 1390 ص 117 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب مطبعة فضالة المحمدية.

ب – «بالسند الواصل إلى الشيخ الإمام الحافظ الحجة الهمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه».

3 – يقرأ نص الحديث المراد تحليله سندا ومتنا.

4 – يذكر من خرج الحديث في الكتب الصحاح وفي غيرها.

5 – يترجم لرواة الحديث حتى النبي ﷺ، ترجمة موجزة كافية.

6 – يتناول تحليل الحديث من حيث ألفاظه ومعانيه ومن حيث فقهه.

وقد يكون تحليله الحديث غالبا ما يأتي فيه بعدة أحاديث أخرى وآيات قرآنية تمس موضوع الحديث مسا، بحيث تكون الأحاديث والآيات في الدرس لها صلة وثقى بما في الحديث المحلل، وكمثال على ذلك: «حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله».. فقد ساق فيه : 20 حديثا يدلل بها على ما يريد قوله من أفكار وردت في الحديث المشروح.

كما ساق 33 آية قرآنية تتناسب مع ما يريد توضيحه من أشياء في نطاق حديث الدرس.

وأحيانا يسوق بيتا شعريا كما نلاحظ في حديث السبعة المظللين في ظل الله.

فقد ساق بيتا لأبي الطيب المتنبي، هو قوله :

إذا المرء لم يرزق خلاصا من الأذى
فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

7 ـ أسلوبه في التحليل :

وقد كان أسلوبه في الدرس أسلوبا متناسقا، وغالبا ما يلتجىء فيه إلى استعمال السجع على نمط النثر الفني في القرن الرابع الهجري، وعلى غرار ما ورد في بعض السور القرآنية القصار، وكمثل على ذلك في تحليله حديث السبعة الذي يظلهم الله بظله... قوله :

1 – «.. ولعل حديث المجلس هذا يعتبر من أبرز الأحاديث التي تستورد عناصر الفضل في الأعمال، وتستعرض جوانب السمو في الكمال، وتسترعي الانتباه إلى حياة الفضل والعدل، وترسم الحقائق والمزايا التي

تجعل الإنسان إنسانا كاملا، له قيمته المعنوية ومكانته المادية، كما تجعله قمينا بالخلافة عن الله في أرضه، والقيام بأمره وحكمه، فيصلح الأرض بإيمانه وإحسانه، ولا يفسدها بظلمه وطغيانه، ويعمرها بعدله وسداده ولا يقتلها بجهله وعناده، فالإيمان بقوة الله، والنشوء في عبادة الله، والإخلاص في معاملة الله، والبكاء من خشية الله، هي قوام كل حياة طيبة سامية، والحب في الله، والبغض في الله، وإقامة العدل بين عباد الله، وعفة النفس وأمانة الضمير هي أساس كل سياسة محكمة ناهضة.(10)

2 – «.. فلا يفوت شباب الإسلام اليوم، وهم سند الملمات والمهمات أن يتمسكوا بوحدة المواقف، وأن يتسلحوا بقوة المعارف، وأن يهتدوا بروح اللطائف، ليستطيعوا أن يأتوا بالنتائج المنتظرة والمعجزات المبتكرة في فلسطين ومقدساتها المضطهدة، وفلسطين المنكوبة المغصوبة، والمسلوبة والمنهوبة هي مأساة الإسلام اليوم، فعلى المسلمين أن لايستمرئوا الطعام، وأن لا يستحلوا المنام والمسجد الأقصى في أيدي اللئام، عليهم أن يسيروا في خط واحد، وأن يجاهدوا في صف واحد، وأن يعتصموا بكتاب الله لنصر الحق بأيمانهم وإيمانهم، ولرفع راية الجهاد في بلادهم حتى ينصرهم الله، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.(11)

ذلكم كان هو أسلوبه في التحليل والشرح.

8 – يختتم كلامه بالترحم على محمد الخامس رحمه الله ويدعو لأمير المومنين بالنصر والتمكين.

ويجب لفت النظر إلى أن الشيخ الفاروق الرحالي يتخذ في تحليله الآية القرآنية: نفس المنهج الذي يتبعه في تحليله الحديث، وهذا بالنسبة لإيراد الأحاديث والآيات القرآنية التي تواكب مسار الآية المشروحة، زيادة على تبيان أسباب النزول وذكر الأحاديث الواردة في ذلك، إضافة إلى تحليلها

10) انظر الدروس الحسنية لعام 1388هـ ص 200 ـ 201 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب مطبعة فضالة المحمدية.

11) انظر الدروس الحسنية لعام 1388هـ ص 208 نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب مطبعة فضالة المحمدية.

تحليلا شاملا مقتضياتها مع مراعاة القـواعد الأصولية، والنكات البلاغية وأقـوال المفسرين فيهـا، وبعـد ذلك يختم شرح الآيـة بالدعـاء لأمـير المومنين.

وإذا أخـذنا ممـا سبق نظـرة موجـزة عن عطـائه الحديثي في مجلس الحضرة المولـوية، فينبغي لنـا أن ننتقل إلى عطائه الحديثي أيضـا في دار الحديث الحسنية بالرباط وذاك ما سيأتي بعد.

4 – عطاؤه الحديثي في دار الحديث الحسنية بالرباط.

إنه منذ تأسيس دار الحديث الحسنية بالـرباط في فاتح شهـر يبراير 1964 اختار لها مؤسسهـا جلالة الملك الحسن الثاني حفظه اللـه شيوخا أكفاء يتـولون القيام بالتـدريس فيها، كان من بينهم في البدايـة الشيوخ الأساتيذ الآتية أسماؤهم، وهم السادة :

التهـامي الوزاني، وعـلال الفـاسي، ومحمـد المكي الناصري، وجـواد الصقلي، وعبد الرحمن الـدكالي، وعبد الرحمن الغـريسي، ومولاي العباس الامـراني، ومـولاي عبـد الـواحـد العلوي، والعـابـد الفـاسي، والـرحـالي الفـاروق...

وقد كلف أستاذنا الفاروق بتدريس الحديث النبوي من خلال الجامع الصحيح لـلإمام البخـاري ولم يألُ جهدا في تـدريسه وتـوجيه طلبتـه، توجيهـا حسنا في تعاملهم مع حـديث الرسـول ﷺ، وإرشادهم إلى أهم المظان الحديثيـة التي تجعل منهم طلبة متخصصين في الحديث الشريف.. وقد كانت منهجيته في شرح الأحـاديث مثلما سبق أن أشرنا إليه من قبل، وقد بقي حريصا على إعطاء الدروس بدار الحديث الحسنية متجشما كل الصعاب من مـراكش إلى الرباط ليـؤدي واجبه التعليمي نحو أبنـاء الدار حوالي 5 سنوات، وقد تخرج على يـده طلبة كثير، منهم من قضى، ومنهم من بقي مستمرا في أداء رسالته.

وقد استمر الفاروق يقوم بواجبه التعليمي في دار الحديث الحسنية إلى أن أحسَّ بضعفـه وعـدم استطـاعتـه الانتقـال من مـراكش إلى الـربـاط أسبوعيا، مما جعله يتخلف عن التدريس بها.

ومهما يكن من أمر، فإن الرجل ترك بصماته في هذه الدار ورغم انقطاعه عن التدريس بها فإنه بقي على ارتباطه بطلبته وإرشادهم في مختلف المناسبات التي تجمعه وإياهم.

ولا أدل على ذلك من الكلمة التي وجهها إليهم في المعرض التي أقامته جمعية العلماء خرجي دار الحديث بمراكش سنة 1982.

حيث أعطيت له الرئاسة الفعلية في الجلسات الفكرية الموازية للمعرض.

وستكون هذه الكلمة مسك الختام في هذا البحث.

5 - نص الكلمة التي تدخل بها الشيخ الرحالي الفاروق في المعرض الثاني لأطروحات ورسائل دبلوم دار الحديث الحسنية المقام بمراكش سنة 1403هـ / 1982م.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الحمد لله الذي جعل من العلم منارة تهدي إلى النور، ونبراسا يفتح المنغلق من الأمور بعد الأمور، بشرح الأفئدة وطهارة الصدور، وبنى للعلماء المقام الأسمى، حيث جعلهم شهداء لله بالوحدانية على النهج الأعلى.

نصر الله بهم الحقيقة، حتى لايهزمها الباطل فتفسد الحياة، وعطر بهم رحاب الكون حتى لاتزكم الأنوف نتونة الجفاة، وجعل الوراثة فيهم بعد نبيه ﷺ مادعوا إلى الحق ووجهوا الخلق للتشبث بالصدق، والترفع عن رذيلة الفجور والفسق، أحمده حمد من أماط عن عينيه غشاوة الشك، ولم يكله إلى نفسه الأمارة بالسوء، تفتك به أيما فتك، وجنبه غائلة المروق بفعل المأمور بفعله، وترك ما ينبغي أن يترك، وهو خير له ولأهله.

وأصلي وأسلم على الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، المتتلمذ في مدرسة ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم**﴾ المنزل عليه : ﴿**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**﴾، من بهر بفصاحته

القلوب، وأخرس ببلاغته ألسنة بلغاء الأمم والشعوب ورماهم عن قوس البيان بأسلوب بليغ فقدوا معه الرشد، واستلهموا كل المبدعين من فصحائهم وبلغائهم فلم يحيروا الردّ بل زادهم كل ماسمعوه خبالا، وعدوه ليس من الحقيقة بل خيالا، وجعلهم حيارى وما هم بحيارى ولكن الإعجاز الإلهي شيء لا يجارى، وعلى آله وأصحابه الذي رضعوا من ثدي الفصاحة في مدرسة القرآن ما جعلهم في قمة القمة بين أمراء الفكر، وأئمة البيان.

وبعد، فإن من نعمة الله التي لاينقطع مددها ولا يتوقف فيضها وسندها، ما بقيت الأرض تزهر بلطائف المعرفة، وتزهو بأطياف من الفكر المسعفة، نعمة الخلف الواصل لحبل المعرفة المستمدة من السلف بعرق الجبين المعترف بإفضالهم عليه، وفضائلهم عبر السنين.

يعمد إلى معرفتهم فينميها بجهده الموصول حتى يبقى إشعاعها رمزا للوجود المتجدد، وبنات أفكارهم المبدعة المعبرة عن واقع عصرهم، فيتعهدها بما يطبعها بطابع التجديد المتفرد، ربطا لماض مشرق غابر، بحاضر متطور زاهر، وتطلعا إلى مستقبل باسم باهر، مستقبل تتجاوب فيه أصداء المعرفة على اختلاف أشكالها وألوانها مع روح العصر، وتتطابق فيه النتائج مع المقدمات من غير ما حصر، امتدادا لماض مجيد كان مدرسة تتلمذ عليها بناة النهضة في بداية نهضتهم، واتخذ منها زعماء الإصلاح وسيلة لتحقيق أمجادهم بعدما اقتعدوا منها مقعدا الصدارة على أساس من التنويع، ومقابلة المثل بالمثيل مع ما ينشأ عن ذلك من التفريع، خدمة للجميع، فاستحقوا بذلك : الريادة المؤدية إلى السؤدد في الدهر، والتحكم في موارد الدنيا ومصادرها بالقوة والقهر.

وإن مما يبعث الأمل في نفوسنا ونحن على عتبة عهد جديد من الفكر الشمولي استرجاعا لمجد تليد، وسيرا وبكل عزم وحزم لكل ما هو جاد هادف مفيد، تحقيقا لهويتنا التي ما تخلينا عنها حتى في أحلك الساعات، وإثباتا لذاتنا كقوة دافعة قادرة على صنع المعجزات، ما نرى عليه شبابنا من إقبال على ينابيع المعرفة يغرف من مناهلها، ويتصدر الطليعة في طلبها والكرع من حياضها، يستوي في ذلك الكهل والشاب والبادي

والمتحضر، أخذا بأسباب العزة التي ما كانت ولن تكون في يوم من الأيام في غير العلم وتلاقح الأفكار شرقيها وغربيها، واستظهار صنوف المعرفة من مصادرها، واستكشاف دواخلها وبواطنها، استعدادا لولوج باب التقدم الذي نحن صانعوه في الأولين، وتمشيا مع جدلية التاريخ الذي لا يرحم المتخلفين، وإن أكبر شاهد على مصداقية هذا القول، ونصاعة هذه الحجة ما نرى عليه أجيالنا المؤمنة بربها، الواثقة بنفسها وهي تشق طريقها إلى المستقبل السعيد من رغبة صادقة في الأخذ بمقومات النهضة ومستلزمات الطفرة، وتوالي الوثبة تلو الوثبة التي لا تنحصر في مقوماتنا الدينية والحضارية والثقافية فحسب بل تتعداها إلى العودة إلى ميادين ليست غريبة عنا، ولا نحن بعداء عنها، كالطب، والهندسة والرياضيات والحساب والجبر والفيزياء والكيمياء والعلوم على اختلاف ميادينها وتباين طرقها، ومدى ما تنطوي عليه من التمكن من ناصية الحياة، وقوة الأخذ والعطاء، والجذب والشد، والنظرة الممزوجة، بروعة التقدير، وجلال الاحترام وكبرياء العلم.

وإذا كان لكل فن رجاله، ولكل نهضة روادها، فإنكم أنتم أيها العلماء الخريجون من دار الحديث الحسنية في الطليعة، بما أثريتم به الفكر المغربي المعاصر من ثاقب فكركم، وأتحفتم به المكتبة العربية والمغربية بجاد بحثكم، وعظيم إسهامكم المبدع الذي يكون حلقة من حلقات التجديد لتراث أبى على توالي الأحداث إلا أن يبقى إشعاعا فكريا تستمد منه النخبة في كل عصر، وفي كل زمان ومكان.

وبهذه المناسبة الكريمة، وقد أضفيتم عليَّ من الشرف بإسناد الرئاسة الفعلية في ندوتكم هاته لشخصي المتواضع، مما أجدنى عاجزا عن شكره، لا يسعني إلا أن أحيي ندوتكم هاته التي هي تعبير صادق عن مدى التجاوب بينكم وبين من أنتدبتم له أنفسكم من جلائل الأعمال في مختلف ميادين المعرفة بعد أن أخذتم بأساليب الدرس، ومنهجية البحث العلمي في دار الحديث الحسنية التي هي مثال فريد من عبقرية فريدة، عبقرية الملك الصالح المصلح الحسن الثاني نصره الله وأبد ملكه الذي كان ولا يزال يبذل قصارى جهده من أجل إحلال المغرب المكانة التي

ينشدها له، واضعا أسسها على هدي من القرآن وتوجيه من السنة المحمدية التي أبت العناية الإلهية إلا أن يكون المحامي الوفي لها في هذه الديار.

وما معرضكم الثاني هذا للكتاب في مدينة مراكش التي ترحب بكم، وتتمنى لكم مقاما حميدا بين ظهرانيها والذي جاء في ظرف سنة تقريبا بعد معرضكم الأول بالرباط إلا معلمة جديدة على طريق المستقبل الواعد بكل خير لصالح الفكر والثقافة والبحث العلمي الرصين.

وإن مراكش وهي تحتضن هذا اللقاء المثمر بكم، لتشعر بالنخوة العلمية التي هي متجذرة فيها منذ أن أقام أول صرح لها، يوسف بن تاشفين الذي صان الإسلام بالعلم بهذه الديار وهاتيك على السواء.

فليبارك الله أعمالكم لخير الفكر والثقافة، وليدم عليكم نعمة البحث حتى تستخرجوا النفائس من كنوز المكتبة المغربية العربية الإسلامية التي هي إرث حضاري وفكري لكم وللأجيال اللاحقة بحول الله.

وأول الغيث قطر ثم ينهمر، والكريم إذا بدأ تمم، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل،

والسلام عليكم ورحمة الله.

الرحالي الفاروق :

عميد كلية اللغة العربية ورئيس المجلس العلمي الإقليمي، بمراكش في 15 صفر 1403هـ / 1 دجنبر 1982م.

تلكم كانت هي الكلمة الجادة التي وجهها فقيد العلم الشيخ الرحالي الفاروق إلى طلبته بمناسبة إقامة معرضهم الثاني بمدينة مراكش: مرقد ابن تاشفين، وعاصمة الموحدين.(12)

فليرحم الله الرحالي الفارق وليرحم آباءنا وأجدادنا ومن علمنا ومن سبقنا بالإيمان بمنه وكرمه، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

12) انظرها في العدد : 8 من مجلة الاعتصام التي تصدرها جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية ص 29 ـ 30.